الفائدة التاسعة والعشرون:

قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ}

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [التحريم:٩-١١].

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يضرب الأمثال، للمؤمنين لعلهم يعقلون، ويتدبرون، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} [العنكبوت:٤٣].

* وفي هذه الآيات بيان من الله عَزَّوَجَلَّ على أن المؤمن ينتفع بعمله، وأن المخالف لا ينفعه عمل غيره.

فامرأة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وامرأة لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ زوجتا نبيين، ومع ذلك لم ينتفعا بصلاح زوجيهما.

وأمراة فرعون زوجة أعتى العتاة، وأفجر الفجرة من بني الإنسان، إذ زعم أنه الرب الأعلى، ومع ذلك ما ضرها ذلك في دينها.

ومريم ابنة عمران من بيت صالح، كلهم أولي صلاح هي وذويها، ولكلٍ عمله.

* فينبغي علينا جميعًا رجالًا، ونساءً أن نتقي الله عَزَّوَجَلَّ في أنفسنا، وأن نعمل لمرضات ربنا، فهذا هو النافع في الدنيا والآخرة، والله لا تنفع الأموال، ولا الأحساب، ولا الأنساب، ولا الوساطات، ولا الجمال عند الله عَزَّوَجَلَّ، وإنما الذي ينفع العمل الصالح، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء:٢١٤]، قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**»(١).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»(٢).

فالنَّسَبُ ما نفع أبا طالبٍ، ولا أبا لهبٍ، والنسب ما ضر بلالًا، ولا صهيبًا، فأولئك وضِعوا بالشرك، وهؤلاء رُفِعوا بالإسلام، والاستقامة.

لَعَمْرُكَ مَا الإِنْسَانُ إِلاَ بِدِيْنِهِ ❁❁❁ فَلا تَتْرُكِ التُّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبِ
فَقَدْ رَفَعَ الإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ ❁❁❁ وَقَدْ وَضَعَ الشِّرْكُ الشَّرِيْفَ أَبَا لَهَبْ

ومع ذلك ينبغي لنا رجالًا ونساءً أن نلازم الآداب الشرعية التي يصلح بها

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

البيت؛ من بذل النصيحة، والتوجيه، والدعاء، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»(١)؛ لأن الإنسان إذا دعا على نفسه وأهله قد يصادف ساعة إجابة فيقع عليهم الهلكة، لكن نشمر بالدعاء لأنفسنا، ولأبنائنا، وبناتنا، ولزوجاتنا، ولأبناء المسلمين عمومًا لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يصلح الحال، ويصلح المآل.

مع بذل النصيحة، والتوجيه، والرفق، وكل شيء في موطنه نافع بأذن الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ، لمَّا رأي الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، قَالَ: «**كِخْ كِخْ**» لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ**»، متفق عليه(٢)، فعلمه صغيرًا، وأدبه صغيرًا، ونفع الله عَزَّوَجَلَّ الحسن بن علي بهذا الأدب النبوي.

وقد أدب النَّبِيُّ ﷺ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لمَّا رأى يَدَه تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»، قَالَ عُمَرُ: فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. متفق عليه(٣).

وتعويد النشأ على الطاعة أمر لازم للآباء، والأمهات؛ لأنه كما قيل:

وَيَنشَأُ نَاشِئُ الفِتْيَانِ مِنَّا ❁❁❁ عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

فإذا رأى منك الوصية بعد الأخرى حتى وإن كان مُتعِّبًا سينتفع في يوم من

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٩)، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) البخاري (١٤٩١)، ومسلم (١٠٦٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

الأيام، وإذا رأى منك عدم المبالاة ربما يتمادى فيما هو فيه من اللعب، والمخالفة، فينشأ على ذلك فتضره ولو بعد زمن، ومع ذلك فحال المؤمن مع غيره كما قَالَ تَعَالَى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ} [الغاشية:٢٢].

وَقَالَ تَعَالَى: {فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى} [الأعلى:١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات:٥٥].

فالمؤمن دأبه التذكير، والتوجيه، والتعليم، والنصح، والدعاء لله عَزَّوَجَلَّ.

وبالله التوفيق.